المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية

العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025

ISSN: 2617-9563

قراءة محمد عابد الجابري التفسيرية للنص القرآني واستثمار بعض مناهج العلوم الإنسانية

إدريس الادريسي[1]، محمد دجلس[2].

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث منهجية تتعلق بموضوع القراءات الحداثية للقرآن الكريم، وقد ركز بشكل خاص على قراءة محمد عابد الجابري للقرآن الكريم برؤية مناهج العلوم الإنسانية، حيث يمثل التعامل مع النص القرآني مهمة كبرى عند الاتجاهات الحديثة، على اعتبار أن القرآن يتوجه بالخطاب إلى أهل كل زمان ومكان، فكان هو العمدة التي ينبغي أن تتأسس عليها الحداثة. ووقف البحث على هذه المحاولة، وذلك بالتركيز على بيان أهم المناهج والآليات الإنسانية التي استثمرها محمد عابد الجابري في تفسيره للنصوص القرآنية، وخلص البحث إلى أن كل المحاولات التفسيرية للقرآن الكريم التي اعتمدت مناهج العلوم الإنسانية الحديثة، تعثرت في تجاوز العلوم التفسيرية التراثية التي نشأت في أحضان القرآن الكريم، وتراعي خصوصياته المباينة لسائر كلام الخلق، من حيث كونه صالحا لكل آن ومآل.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم – الحداثة العقلانية –التاريخانية.

---

1 يعمل باحثا مساعدا للدراسة العليا في كلية الشريعة بجامعة قطر.

2 طالب ببرنامج ماجستير التفسير وعلوم القرآن بجامعة قطر.

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية

العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025

ISSN: 2617-9563

Muhammad Abed Al-Jabri's interpretive reading of the Qur'anic text and his employment of some human sciences approaches

This research aims to discuss the subject of modernist readings of the Holy Qur'an. Dealing with the Qur'anic text represents a major task according to modern orientations, given that the Qur'an addresses the people of every time and place, hence it is considered as the pillar on which modernity should be based upon. This research has focused on Muhammad Abed Al-Jabri's reading in which he depends on human sciences. It examines Al-Jabri's attempt of interpretation of the Quranic texts by stating the human mechanisms and methodologies that he employed. The research concluded that all the interpretive attempts of the Holy Qur'an, which adopted the methods of modern human sciences, failed in overcoming the traditional exegetical science that arose in the phase of the revelation of the Holy Quran and shortly after, as it considers its impeccable specificities.

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية

العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025

ISSN: 2617-9563

المقدمة:

لقد اعتبر العلماء علم التفسير من أهم العلوم التي ينبغي أن توجه إليها الهمم، وذلك لأن حاجة الأمة ماسة إلى فهم كتاب الله عزل وجل، وقد فسر ابن عباس رضي الله عنها الحكمة في قوله تعالى: {ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا} [البقرة: 286] بأنها "المعرفة بالقرآن فقهه ونسخه ومحكمه ومتشابهه وعربيته"[3]. ولذلك اجتهد العلماء في وضع الضوابط والقواعد التي تؤطر عملية فهم القرآن فهما سويا سليما، وأبدعوا في ذلك مؤلفات شتى، حرروا فيها هذه القواعد تنظيرا وتطبيقا.

ولم يعد مجال الدراسات الإسلامية عموما، ومجال التفسير بوجه خاص منحصرا على أصحاب التخصص من مفسرين وأصوليين ومتكلمين ولغويين، بل دخله ولجه باحثون من تخصصات أخرى نائية عن العلوم الآلية التي تقنن طرق التعامل مع كلام ربنا المنان المباين لكلام كل الكائنات، مما أدى إلى ظهور اتجاهات تدعوا إلى إعادة تجديد قراءة النص القرآني قراءة تلبي حاجيات العصر، في سياق ما يسمى بالقراءات الحداثية للقرآن الكريم. ويسعى هذا البحث إلى الوقوف مع أنموذج من هذه القراءات.

إشكالية الدراسة:

قدم محمد عابد الجابري الذي يعد من أبرز المفكرين المعاصرين قراءة جديدة للنص القرآني، معتمدا على المناهج الحديثة في العلوم الإنسانية في تفسيره للقرآن الكريم، وقد أثار منهجه نقاشا وجدلا كبيرا بين

---

3 ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ، (ج1/ 363).

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية

العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025

ISSN: 2617-9563

المؤيدين والمعارضين، ومن هنا جاء التساؤل الذي يقدمه هذا البحث حول مدى جدوى وشرعية هذه المقاربة في الدراسات التفسيرية، وتتمثل مشكلة الدراسة في التساؤل التالي: إلى أي مدى نجح محمد عابد الجابري في تقديم قراءة تفسيرية للنص القرآني مستثمرا فيها العلوم الإنسانية؟

أسئلة الدراسة الفرعية:

1. ما الأسس المنهجية التي اعتمدها الجابري في تفسيره للنص القرآني؟
2. كيف استثمر الجابري العلوم الإنسانية في قراءته التفسيرية؟
3. ماهي التحديات والإشكالات التي واجهها منهجه التفسيري؟
4. ما أثر قراءته التفسيرية على الدراسات القرآنية الحديثة؟

أهمية الدراسة:

تبرز هذه الدراسة أهمية قراءة الجابري التفسيرية للنص القرآني والخلل الذي وقع فيه بإسقاطه المناهج الغربية في العلوم الإنسانية وتعارضه مع المنهج التقليدي في تفسير النص القرآني.

منهج الدراسة:

اعتمد المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج النقدي وفق ما تتطلبه طبيعة هذا البحث، وسيتم الاعتماد في هذا البحث على ثلاث خطوات:

الخطوة الأولى: تتبع المادة المرتبطة بالموضوع من كتب محمد عابد الجابري، وكان التركيز في تحرير هذا البحث على كتب الجابري التالية:

1.حفريات في الذاكرة من بعيد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت الطبعة الأولى،1997م.

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية

العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025

ISSN: 2617-9563

2.التراث والحداثة دراسات ومناقشات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1991م.

3.مدخل إلى القرآن الكريم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت الطبعة الأولى، 1991م.

4.فهم القرآن الحكيم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، القسم الأول، دار النشر المغربية، الطبعة الأولى، 2008م.

5. فهم القرآن الحكيم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، القسم الثاني، دار النشر المغربية، الطبعة الأولى، 2008م.

6. فهم القرآن الحكيم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، القسم الثالث، دار النشر المغربية، الطبعة الأولى، 2008م.

الخطوة الثانية: وصف المادة المجموعة وتحليل مضامينها.

الخطوة الثالثة: مناقشة ما تم استخلاصه من نصوص، مع استحضار القواعد المقررة في المصادر التراثية.

النتائج: خلص هذا البحث إلى أن كل المحاولات التفسيرية للقرآن الكريم التي اعتمدت مناهج العلوم الإنسانية الحديثة، تعثرت في تجاوز العلوم التفسيرية التراثية التي نشأت في أحضان القرآن الكريم، وتراعي خصوصياته المباينة لسائر كلام الخلق، من كونه صالحا لكل آن ومآل.

أصالة البحث: تكمن أصالة هذا البحث في تناوله مسألة قراءة محمد عابد الجابري القرآن الكريم بمناهج العلوم الإنسانية الغربية الحديثة، وبيان بعض العثرات التي وقع فيها، سواء من حيث ترتيب سور المصحف بالاعتماد على السياق الزماني، أو تأويل النصوص بما تقتضيه المبادئ العقلية والظروف

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية
العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025
ISSN: 2617-9563

الراهنة. فتجديد المناهج القرآنية يكمن في إعادة الجدية للقديم، بقتله بحثا وقراءة وتحليلا وفهما، لا بالقطيعة الأبستمولوجيا مع التراث، واعتباره إرثا متجاوزا، والتطلع إلى كل جديد كيفما كان نوعه.

المطلب الأول: التعريف بمحمد عابد الجابري وتصوره لمفهوم الحداثة.

قبل دراستنا لبعض مناهج العلوم الإنسانية التي استثمرها محمد عابد الجابري في قراءة النص القرآني، نقدم لذلك بهذا المطلب المخصص للحديث عن السيرة الشخصية والعلمية لمحمد عبد الجابري وتصوره لمفهوم الحداثة.

أولا: السيرة الشخصية للدكتور الجابري.

ولد الجابري بمدينة فجيج من المغرب سنة 1935م[4]، ونشأ عند أخواله بعد انفصال أمه عن والده، فما لبث أن ألحقه جده بأحد الكتاتيب حيث حفظ نحوا من ثلث القرآن، ثم أدخله عمه إلى المدرسة الفرنسية حيث قضى سنتين. ولما أنشأ شيخه محمد فرج[5] مدرسة النهضة المحمدية . مدرسة وطنية حرة لم تخضع للسلطات الفرنسية . التحق بها الجابري وفيها أتم تعليمه الابتدائي[6].

4 محمد عابد الجابري، **حفريات في الذاكرة من بعيد**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1997م، (ص37- 51).

5 محمد فرج الذي وصفه الجابري بأنه أحد رجال السلفية النهضوية الذين جمعوا بين الإصلاح الديني والكفاح الوطني والتحديث الاجتماعي.

6 محمد عابد الجابري، **حفريات في الذاكرة من بعيد** (ص 76- 78).

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية

العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025

ISSN: 2617-9563

انتقل الجابري إلى الدار البيضاء لإكمال دراسته الإعدادية. وفي سنة 1955م حصل على الشهادة الثانوية، واجتاز امتحان دبلوم الأول للترجمة[7].

التحق بعد حصوله على شهادة الثانوية بكلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط سنة 1958م، حيث حصل على دبلوم الدراسات العليا في الفلسفة سنة 1967م، ثم دكتوراه الدولة في المجال نفسه سنة 1970م، وعين بعدها مباشرة أستاذا للفلسفة والفكر الإسلامي بكلية الآداب، جامعة محمد الخامس، بالرباط[8].

توفي الجابري بالدار البيضاء سنة 2010م[9].

ثانيا: الإنتاج الفكري للجابري.

خلف الجابري كثيرا من الإنتاجات العلمية، وقد بلغت مؤلفاته نحوا من 32 كتابا، بالإضافة إلى عدد من المقالات العلمية والأبحاث الأكاديمية المنشورة له.

تمحور مشروع الجابري حول قضيتين أساسيتين:

القضية الأولى: مفهوم العقل العربي الذي جعله عنوانا لسلسلة "نقد العقل العربي" التي تتكون من أربعة أجزاء:

---

7 نفسه، (ص 134 - 149).

8 إيمان حسن، **الدلالات اللغوية في فهم القرآن الحكيم للجابري ـ دراسة تحليلية نقدية**، أطروحة دكتوراة، جامعة اليرموك، 2013م، (ص4).

9 السيد ولد باه، **أعلام الفكر العربي: مدخل إلى خارطة الفكر العربي الراهنة**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، (ص162).

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية
العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025
ISSN: 2617-9563

1. تكوين العقل العربي.
2. بنية العقل العربي.
3. العقل السياسي العربي.
4. العقل الأخلاقي العربي

القضية الثانية: إعادة النظر في التراث وتقديم قراءة جديدة للنص القرآني، وقد خصص لذلك عددا من مؤلفاته، من أبرزها:

1. نحن والتراث قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي.
2. الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة.
3. . وكتبه المتعلقة بالقرآن الكريم، السالفة الذكر.

ثالثا: مفهوم الحداثة عند الجابري.

الحداثة لغة: أرجع ابن فارس معناها إلى أصل واحد، وهو كون الشيء لم يكن[10]. وقال ابن منظور: نقيض القديم. حدث الشيء يحدث حدوثا وحداثة"[11].

والمعنيان متساويان، فالشيء الحادث قسيم القديم، ومن هذا المعنى أخذ المعنى الاصطلاحي.

10 أحمد ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة** (ج2 / 36).
11 ابن منظور، **لسان العرب** ج2/ 131.

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية
العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025
ISSN: 2617-9563

الحداثة اصطلاحا: هي مصطلح غربي مستحدث يقوم على التخلص من سيطرة المعتقدات والتوابث القديمة، واخضاعها للهيمنة العقلية في كل مناحي الحياة، قال الحارث فخري: "الحداثة هي محاولة صياغة نموذج للفكر والحياة يتجاوز الموروث، ويتحرر من قيوده، ليحقق تقدم الإنسان ورقيه بعقله ومناهجه العصرية الغربية لتطويع الكون لإرادته واستخراج مقدارته لخدمته"[12].

فالحداثة بهذا المعنى امتداد للمدارس الفلسفية الغربية، التي حاولت أن تفسر الدين لصالحها، وقد بدأ هذا التيار منذ اتساع الفتوحات الإسلامية، والانفتاح على الفلسفة اليونانية، والمنطق الصوري الأرسطي، وقد رصد ابن حجر ظهور شذرات هذا التيار منذ أواخر القرن الثالث الهجري، قائلا: "وقد توسع من تأخر عن القرون الثلاثة الفاضلة في غالب الأمور التي أنكرها أئمة التابعين وأتباعهم ولم يقتنعوا بذلك حتى مزجوا مسائل الديانة بكلام اليونان وجعلوا كلام الفلاسفة أصلا يردون إليه ما خالفه من الآثار بالتأويل ولو كان مستكرها ثم لم يكتفوا بذلك حتى زعموا أن الذي رتبوه هو أشرف العلوم وأولاها بالتحصيل وأن من لم يستعمل ما اصطلحوا عليه فهو عامي جاهل فالسعيد من تمسك بما كان عليه السلف واجتنب ما أحدثه الخلف"[13].

يعتبر الجابري أن سؤال الحداثة سؤال متجدد بتجدد الحياة، وذلك لأنها ظاهرة ككل الظواهر التاريخية مشروطة بظروفها، ومحدودة بتاريخها. ومن هنا أقر أن الحداثة الأوروبية وإن كانت اليوم حداثة

12 الحارث فخري عبد الله، **الحداثة وموقفها من السنة**، دار السلام، مصر، ط1، (ص 33).
13 ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة، بيروت، (ج 13/ 253).

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية
العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025
ISSN: 2617-9563

عالمية إلا أنها لا تنتظم في تاريخ الحضارة العربية ومعطياتها، وعليه وجب البحث عن حداثة تستلهم أطروحتها من السياق الثقافي العربي بهدف تغييره من الداخل، فتصير الحداثة بهذا المعنى هي حداثة المنهج وحداثة الرؤية، مما يجعلها بحق (حداثة عربية) تستطيع الانخراط في الحداثة المعاصرة العالمية كحداثة فاعلة غير منفعلة[14].

إن الحداثة في تصور الجابري إذن لا تعني رفض التراث والاستغناء عنه، ولا تعني القطيعة مع الماضي بالكلية، وإنما تعني التعامل مع التراث بطريقة عصرية تواكب التقدم الحاصل على الصعيد العالمي. وبالتالي فإن خطاب الحداثة يجب أن يتجه أولا وقبل كل شيء إلى التراث بهدف إعادة قراءته وتقديم رؤية عصرية عنه، إذ من متطلبات الحداثة حسب الجابري تجاوز الفهم التراثي للتراث إلى فهم حداثي ورؤية عصرية[15].

وبما أن القرآن الكريم أصل هذا التراث فهو أولى بهذه القراءة العصرية، ولذلك دعا إلى تجديد طرح الأسئلة التي طرحها العلماء من قبل، وفسح المجال أمام الأسئلة التي تطرحها اهتمامات عصرنا الفكرية والمنهجية، وفي هذا السياق يقول: "إنه بغير تجديد الفكر في الأسئلة القديمة وطرح أخرى جديدة

14 ينظر، محمد عابد الجابري، **التراث والحداثة دراسات ومناقشات**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1991م، (ص 11 – 17).

15 ينظر، المرجع نفسه (15 – 17).

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية

العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025

ISSN: 2617-9563

لن يتأتى لنا الارتفاع بمستوى فهمنا للظاهرة القرآنية إلى الدرجة التي تجعلنا معاصرين لها وتجعلها معاصرة لنا"[16].

المطلب الثاني: القراءة التاريخية للنص القرآني عند محمد عابد الجابري.

أسعى في هذا المطلب إلى الوقوف مع مفهوم التاريخية وبيان أبعادها في قراءة محمد عابد الجابري للنص القرآني، ومناقشة ذلك.

أولا: مفهوم التاريخية وتجلياتها في قراءة محمد عبد الجابري:

يقول عبد العروي: "ليست التاريخانية مذهبا فلسفيا تأمليا، وإنما هي موقف أخلاقي يرى في التاريخ، بصفته مجموع الوقائع الإنسانية، مخبرا للأخلاق وبالتالي السياسة"[17]. فالقراءة التاريخية تربط فهم النص بزمن تشكله، ومن هذا المنطق ذهب الحداثيون إلى عدم إمكان العودة إلى النموذج النبوي بدعوى كونه نموذجا تاريخيا، يندمج في الأنماط العابرة لإنتاج المعنى داخل التاريخ[18].

وقد تبين من نصوص الجابري أن القراءة التاريخية للنص القرآني تقوم على ركيزتين اثنتين:

---

16 محمد عبد الجابري، **مدخل إلى القرآن الكريم**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2006م، (ص 22 – 23).

17 عبد الله العروي، **ثقافتنا في ضوء التاريخ**، المركز الثقافي العربي، ط4، 1997م، (ص16).

18 محمد أركون، **القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني**، ترجمة هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، ط2، 2005م، (ص 86).

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية

العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025

ISSN: 2617-9563

الركيزة الأولى: ربط القرآن بالسياق التاريخي الذي نزل فيه:

إن أول ما تقتضيه القراءة التاريخية للقرآن حسب الجابري هو تفسيره تبعا لترتيب النزول، وهذا ما تجلى في كتابه "فهم القرآن الحكيم" حيث حاول فيه تفسير القرآن الكريم تبعا لترتيب نزوله، مقسما إياه إلى فترتين:

أ. الفترة المكية: وأدرج فيها تسعين سورة، مقسما إياها إلى ست مراحل على النحو التالي:

المرحلة الأولى النبوة والربوبية والألوهية: وتضم سبعة وعشرين سورة مرتبة على النحو الآتي: (العلق فالمدثر فالمسد فالتكوير فالأعلى فالليل فالفجر فالضحى فالشرح فالعصر فالعاديات فالكوثر فالتكاثر فالماعون فالكافرون فالفيل فالفلق فالناس فالإخلاص فالفاتحة فالرحمن فالنجم فعبس فالشمس فالبروج فالتين فقريش).

المرحلة الثانية: البعث ومشاهدة القيامة: وتشتمل على عشر سور مرتبة كالآتي: (القارعة فالزلزلة فالقيامة فالهمزة فالمرسلات ف {ق} فالبلد فالقلم فالطارق فالقمر).

المرحلة الثالثة إبطال الشرك وعبادة الأصناف: وتحتوي خمس عشرة سورة مرتبا إياها على هذا النحو: ({ص} فالأعراف فالجن ف {يس} فالفرقان ففاطر فمريم فطه فالواقعة فالشعراء فالنمل فالقصص فيونس فهود فيوسف).

المرحلة الرابعة الصدع بالأمر والاتصال بالقبائل: ويندرج تحتها خمس سور مرتبة كالتالي: (الحجر فالأنعام فالصفات فلقمان فسبأ).

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية
العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025
ISSN: 2617-9563

المرحلة الخامسة حصار النبي صلى الله عليه وسلم وأهله في شعب أبي طالب وهجرة المسلمين إلى الحبشة: وضمنها ثماني سور مرتبة على هذا النحو: (الزمر فغافر ففصلت فالشورى فالزخرف فالدخان فالجاثية فالأحقاف).

المرحلة السادسة ما بعد الحصار ومواصلة الاتصال بالقبائل والاستعداد للهجرة إلى المدينة: وتشتمل على خمسة وعشرين سورة مرتبة كالتالي: (نوح فالذاريات فالغاشية فالإنسان فالكهف فالنحل فإبراهيم فالمؤمنون فالسجدة فالطور فالملك فالحاقة فالمعارج فالنبأ فالنازعات فالانفطار فالانشقاق فالمزمل فالرعد فالإسراء فالروم فالعنكبوت فالمطففين فالحج).

ب. الفترة المدنية: وقد جعلها مرحلة واحدة، حيث رأى أنها "تتداخل فيها المراحل واللحظات سواء على مستوى مسار التنزيل، أو مسيرة الدعوة التي صارت ترافقها وتتداخل معها مسيرة تشييد الدولة"[19].

وتشتمل هذه المرحلة على باقي السور وهي أربعة وعشرون سورة، وإن كان الجابري عدها عشرين فقط أثناء تقديمه لهذه الفترة، حيث قال: "وهكذا حصرنا السور التي نزلت في مكة في تسعين سورة...أما باقي السور وهي عشرون سورة، فقد صنفناها كلها ضمن القرآن المدني"[20] وهذه السور مرتبة كالتالي: (البقرة فالقدر فالأنفال ف {آل عمران} فالأحزاب فالممتحنة فالنساء فالحديد فمحمد فالطلاق فالبينة فالحشر فالنور فالمنافقون فالمجادلة فالحجرات فالتحريم فالتغابن فالصف فالجمعة فالفتح فالمائدة فالتوبة فالنصر).

---

19 محمد عابد الجابري، **فهم القرآن الحكيم التفسير الواضح حسب ترتيب النزول**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2006م، (ج 5/3).

20 المرجع نفسه (3 / 36).

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية

العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025

ISSN: 2617-9563

التقسيم الذي تبناه الجابري للمكي والمدني، مخالف للتقسيم الذي ذكره أئمة هذا الشأن، واستقرت عليه الروايات، فالمشهور أن عدد السور المكية خمسة وثمانون سورة، وأن عدد السور المدنية تسع وعشرون سورة، مع اختلاف بينهم في اثنتي عشرة سورة. قال الزركشي بعد تعداده لقائمة السور المكية: "فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بمكة، وعليه استقرت الرواية من الثقات، وهي خمس وثمانون سورة"[21].

أما السور المدنية فقد جعلها تسعا وعشرين سورة فقال: "وجميع ما نزل بالمدينة تسع وعشرون سورة على اختلاف الروايات"[22] وقد صرح الجابري أنه اعتمد في تقسيمه هذا على الرواية مستعينا بالربط بين مسار التنزيل ومسيرة الدعوة، مع حرصه على الاحتفاظ بوحدة السورة، والتحرر من تصنيفات لا شيء يؤسسها سوى الظن والتخمين، مثل القول بالمكي في المدني، والمدني في المكي[23]، معتبرا أن ما جمعه السيوطي من روايات في هذا المقام لا يمكن الخروج منه بنتيجة واحدة، "لوجود ما لا يقل عن ثلاث لوائح لترتيب النزول، بعضها كامل وبعضها ناقص"[24]. وأرجع الجابري الاختلاف في بعض السور إلى رأي المؤلفين المعتمدين في التفرقة بين المكي والمدني على طبيعة الأسلوب والمضمون،[25] وهذا القول ليس

---

21 الزركشي، بدر الدين، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ط1، 1957م (ج 1 / ص 194)

22 نفسه (ج 1 / ص 194).

23 محمد عابد الجابري، **فهم القرآن الحكيم التفسير الواضح حسب ترتيب النزول**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2006م، (ج 3 / ص 36).

24 نفسه، (ج 3 / ص 35).

25 نفسه، (ج 1 / ص 36).

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية

العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025

ISSN: 2617-9563

على اطلاقه إذ الرواية هي المعتبرة في الدرجة الأولى، أما الضوابط والخصائص التي وضعها العلماء في هذا الباب للتمييز بين المكي والمدني فهي أغلبية لغرض التعليم، وليست قواعد مطردة يعول عليها لما لها من استثناءات[26].

الخلفية التاريخية لإعادة ترتيب القرآن حسب النزول:

تفسير القرآن بهذا المنهج لم يكن من إبداع محمد عابد الجابري، بل هو من صنيع المستشرقين، أمثال:

1. هيوبرت غريم (H.Grimme) الذي قسم السور إلى ثلاث مجموعات، معتمدا في ذلك على الروايات، إلا أنه يؤخذ عليه، عدم تمحيصيه للروايات، فهو كحاطب ليل، يسوق الضعيف منها أحيانا والواهي أحيانا أخرى، كما تخلى عن المنهج الذي اشترطه على نفسه، وهو احترام المرويات[27].

2. وليم موير (William Muir) الذي قسم المراحل القرآنية إلى ست، واحدة في المدينة والباقي في مكة، معتمدا على السيرة النبوية، وأسانيدها بعد دراستها تاريخيا، إلا أنه وقع فيما وقع فيه سابقه من الأخذ بالروايات الواهية[28].

3. ويل (Weil) الذي قسم مراحل القرآن إلى ثلاث مراحل في مكة، ومرحلة واحدة في المدينة، ويختلف منهجه عن سابقيه بطرح الروايات والأسانيد الإسلامية، واعتبر "نولدكه" هذا التحول الذي قام به "ويل"

---

26 ينظر، السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (ج 1 / 191).

27 ينظر، صبحي الصالح، **مباحث في علوم القرآن**، دار العالم للملايين، القاهرة، الطبعة الرابعة والعشرون، 2000، (ص176).

28 نفسه (176).

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية
العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025
ISSN: 2617-9563

أجرأ محاولة لترتيب القرآن، وعلى هذا الأساس بنى كتابه تاريخ القرآن، وتبعه في المسار ذاته كل من "بل R.Bell" و "رودويل Rodwell" و "بلاشير Blachere"[29] وغيرهم.

ووجه التشابه بين تقسيم الجابري وهؤلاء المستشرقين، يكمن في عدم تقسيمهم الفترة المدنية إلى مراحل متعددة كما فعلوا في الفترة المكية.

وعليه يمكن القول بأن الجابري تأثر بتقسيمهم هذا، الذي ذكره بقوله: "وهذا التميز يقوم على التمييز بين ثلاث مراحل من القرآن المكي واعتبار القرآن المدني مرحلة واحدة"[30] لا سيما وأنه ذكر تقسيمهم هذا دون أن يطعن فيه، قائلا: "اهتم المستشرقون بترتيب سور القرآن حسب النزول...وكان هدفهم في هذا المجال بناء تصور موضوعي لتطور الوحي المحمدي والتعرف على الجانب الروحي من السيرة النبوية"[31]. مشيرا إلى أن تقسيمهم هذا، عدل عن اعتماد لوائح ترتيب النزول التي ذكرها الرواة المسلمون، نظرا لما يكتنفها من اختلال، وإنما اعتمدوا على معطيين يخصان تطور الخطاب القرآني، منذ نزول الوحي، وهما: الإشارات القرآنية التي تحيل إلى وقائع تاريخية، خصائص النص القرآني المكي والمدني، من حيث الأسلوب والموضوعات"[32].

---

29 نفسه (177).
30 الجابري، **مدخل إلى القرآن الكريم**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، (ص 240 - 241).
31 المرجع نفسه، (ص 240).
32 المرجع نفسه، (ص 241).

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية
العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025
ISSN: 2617-9563

الركيزة الثانية: فصل القرآن عن التفاسير التراثية.

إن التفاسير التي دونها العلماء المتقدمين . حسب هذا الطرح . ينبغي فصلها عن النص القرآني بدعوى أنها تفاسير سابقة انتهت صلاحيتها؛ لأنها مرتبطة بزمانها، ومكانها، ومبنية على معطيات ومستجدات تخص ذلك الزمان وذاك المكان، قائلا: "لقد كنا نطمح إلى أن نوضح كيف أن نفهم القرآن ليس هو مجرد نظر في نص ملئت هوامشه وحواشيه بما لا يحصى من التفسيرات والتأويلات، بل هو أيضا فصل هذا النص عن تلك الهوامش والحواشي، ليس من أجل الإلقاء بها في سلة المهملات بل من أجل ربطها بزمانها ومكانها، كي يتأتى لنا الوصل بيننا، نحن في عصرنا، وبين النص نفسه كما هو في أصالته الدائمة"[33]. واعتبر التفاسير في مجملها نقولا وتكرارا تدور في حلقة مفرغة، تفسير القرآن بنية مبيته في إطار إيديولوجية التمذهب، لذا يرى أنه يمكن الاستغناء عنها، والاقتصار على تفسيرين اثنين وهما: تفسير ابن جرير الطبري (225 – 310هـ) وجار الله الزمخشري (467 – 538هـ) وبعض الكتب المؤسسة مثل كتب المجاز والمعاني[34]، هذا الحكم الذي أطلقه الجابري عام ومسبق، يلفظه المنهج الموضوعي الذي يقتضي دراسة كل تفسير واحدا على حدة، واعطاء كل مفسر حقه ومستحقه، وإظهار مواطن القوة والخلل في تفسيره، أما الحكم على مئات التفاسير باختلاف ألوانها واتجاهاتها بجملة واحدة، يجانب الصواب.

---

33 محمد عابد الجابري، **فهم القرآن الحكيم**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، (ج 1 / ص 7).
34 ينظر المرجع نفسه، (ج 1 / 8).

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية
العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025
ISSN: 2617-9563

ثانيا: أمثلة تطبيقية للقراءة التاريخية على نص القرآن الكريم عند الجابري.

تجلت القراءة التاريخية لنص القرآن عند الجابري في عدد من القضايا، سأقتصر منها على قضيتين اثنتين:

1. قضية المكي والمدني:

لقد أعاد محمد عابد الجابري النظر في تصنيف بعض السور في لوائح ترتيب النزول التي ذكرها علماء علوم القرآن، وذلك بالاعتماد على السياق التاريخي، ومحاولة ربط مضمون السورة بالظروف المحيطة بمراحل النبوة، وربط السور بوقائع السيرة النبوية[35].

وهذا الصنيع . والله أعلم . الأجدر به أن يوظف في التفسير الموضوعي، الذي يسعى إلى جمع موضوعات القرآن بالاعتماد على القرائن المقامية والمقالية.

وبناء على هذا أعاد محمد عابد ترتيب عدة سور سوء من حيث كونها مكية أو مدنية مثل اعتباره بعض السور المختلف فيها مكية قولا واحدا، كالزلزلة والرحمن والإنسان والبينة والحج استنادا إلى الأسلوب[36]، أو من حيث ترتيب النزول مثل إعادته ترتيب سورة القلم والمزمل، اللتين تأتيان في الرتبة

35 ينظر الجابري، **مدخل إلى القرآن الكريم**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، الجزء الأول في التعريف بالقرآن الكريم، (ص 246).
36 نفسه، (ص 246).

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية

العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025

ISSN: 2617-9563

الثانية والثالثة بعد سورة العلق. قال الزركشي: "أول ما نزل من القرآن بمكة: {اقرأ باسم ربك} ثم {ن والقلم} ثم {يا أيها المزمل} ثم {يا أيها المدثر}"[37].

لكن الجابري ذهب إلى أن سورة المزمل والقلم لا تنتميان إلى هذه المرحلة المبكرة، واستند في هذا الحكم إلى أن ما تضمنته السورتان لا يتناسب مع ظروف هذه المرحلة من النبوة، بدعوى أن السورتين تتحدثان عن موقف الرد على منكري الدعوة المحمدية بمضمون لا يستقيم ولا ينسجم مع ما نزل قبلهما من آيات سورة العلق. وبناء على نفس القاعدة صنف سورة القدر على أنها سورة مدنية، وأنها نزلت بعد البقرة، مع أن قول الأكثر على أنها مكية، وحتى القائلين بأنها مدنية قالوا نزلت قبل البقرة، قال الماوردي: "مكية في قول الأكثرين، ومدنية في قول الضحاك، وذكر الواقدي أنها أول سورة نزلت بالمدينة"[38] ومستند ذلك عند الجابري هو مراعاة موضوع السورة، إذ ورد فيها ذكر ليلة القدر المرتبط بشهر رمضان الذي فرض في سورة البقرة، فلا يمكن أن تنزل قبل فرض فريضة الصيام[39]، إلا أن هذا التعلل غير مستقيم؛ لأن فرض العبادة ليس مرتبطا بالنزول، فأحيانا يتأخر نزول الآية عن الحكم، وقد أفرد السيوطي النوع الثاني عشر لهذا الموضوع تحت عنوان: "مَا تَأَخَّرَ حُكْمُهُ عَنْ نُزُولِهِ وَمَا تَأَخَّرَ نُزُولُهُ عَنْ حُكْمِهِ"[40]

---

37 الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1957م، (ج 1 / 193).

38 الماوردي، **النكت والعيون**، دار الكتب العلمية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، (ج 6 / 311).

39 محمد عابد الجابري، **فهم القرآن الحكيم التفسير الواضح حسب ترتيب النزول**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2006م، (ج 3 / 111).

40 السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية

العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025

ISSN: 2617-9563

ومن أمثلة ذلك آية الوضوء التي نزلت في غزوة بني المريسيع بالمدينة[41]، مع أن الوضوء بالإجماع فرض في مكة، قال ابن عطية: "لا يختلف أن هذه الآية هي التي قالت عائشة رضي الله عنها فيها نزلت آية التيمم وهي آية الوضوء، لكن من حيث كان الوضوء متقررا عندهم مستعملا فكأن الآية لم تزدهم فيه إلا تلاوته".

وأود أن أشير إلى أنه لا يقصد بوصف السورة مكية أو مدنية أنها برمتها كذلك، فقد تشتمل السور المكية على آيات مدنية والعكس، وقد تكلم السيوطي عن هذا بالتفصيل في النوع الأول من كتابه الإتقان في علوم القرآن[42]، كما أن نزول السورة في مرحلة معينة لا يعني بالضرورة نزولها أن تنزل كاملة، فقد تنزيل منها نجوم في مرحلة متقدمة وتنزل تتمتها في مرحلة متأخرة، وهذا هو الغالب في النزول، كما أوضح ذلك السيوطي في النوع الثالث عشر الذي عنونه ب "ما نزل مفرقا وما نزل جمعا" حيث قال: "الْأَوَّلُ . يقصد ما نزل مفرقا . غَالِبُ الْقُرْآنِ وَمِنْ أَمْثِلَتِهِ فِي السُّوَرِ الْقِصَارِ: {اقْرَأْ} أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنْهَا إِلَى قَوْلِهِ: {مَا لَمْ يَعْلَمْ} وَالضُّحَى أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنْهَا إِلَى قَوْلِهِ: {فَتَرْضَى}"[43].

للكتاب، القاهرة، (ج 1 / 122).

41 ينظر صحيح البخاري، باب سورة المائدة/ بَابُ قَوْلِهِ: {فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا}، [ج6 /51: رقم الحديث 4608]؛ ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي (ص 72).

42 ينظر السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (ج 1 /56).

43 المرجع نفسه (1/ 136).

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية

العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025

ISSN: 2617-9563

والجابري حكم على السورتين المتقدمتين بناء على ما لاحظه من مقارنة موضوعهما مع ما سماه بمراحل النبوة، وهذا معيار غير منضبط؛ لأن الروايات لا تسعف في ذلك نظرا لقلتها، سواء فيما يتعلق بأسباب نزول الآي وتاريخها، أو بسيرة النبي – صلى الله عليه وسلم – ولو أسعفت المادة المروية لما اختلف العلماء في بعض السور والآيات، وهم الذين تتبعوا الموضوع أيما تتبع، وتحدثوا ليس فقط عن المكي والمدني من القرآن، بل تناولوا الحضري والسفري[44]، وما نزل نهارا، وما نزل ليلا[45]، وما نزل صيفا، وما نزل شتاء[46]، وما نزل فراشا وما نزل نوما[47]، وما نزل سماء وأرضا"[48].

إن القضية المركزية هنا تتجلى في أن المكي والمدني لا سبيل إلى معرفتهما إلا عن طريق النقل والرواية عن الصحابة الذين عاصروا التنزيل وشاهدوه، والشأن في ذلك شأن الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول. وبناء على ضابط الرواية استنبط العلماء ضابطا آخر، فصار معيار التمييز بين المكي والمدني يعتمد على ضابطين:

الأول أصلي (سماعي): وهو النقل الصحيح عن الصحابة الذين عاصروا التنزيل.

---

44 ينظر المرجع نفسه، النوع الثاني (ج 1 / 73).

45 ينظر المرجع نفسه، النوع الثالث (ج 1 / 81).

46 ينظر المرجع نفسه، النوع الرابع (ج 1 / 86).

47 ينظر المرجع نفسه، النوع الخامس (ج 1 / 88).

48 ينظر المرجع نفسه، النوع السادس (ج 1 / 90).

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية
العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025
ISSN: 2617-9563

الثاني (قياسي) بناه العلماء على التتبع والاستقراء، وذلك بملاحظة الخصائص التي تميز بها القرآن المكي والقرآن المدني مما أثبتته الرواية، والواضح أن محمد عابد لم يحترم هذين الضابطين، وحاول أن يرتب بعض السور باجتهاده لتتوافق مع مراحل الدعوة النبوية كما يتصورها.

2. قضية ميراث البنت:

من أهم القضايا التي يطرحها الباحثون المعاصرون قضية المرأة في المنظومة الإسلامية، ومن أبرز ما توجهت إليه أنظارهم مسألة الميراث التي ما فتئت الدعوات تنادي إلى إعادة قراءتها وتجديد النظر فيها. ولم يشكل أصحاب القراءات الحداثية استثناء، حيث نلاحظ أن خطاب المرأة تعاد قراءته من قبلهم قراءة جديدة، يدعون أنها مناسبة لظروف العصر والعدالة الاجتماعية.

وفي هذا السياق تأتي قراءة محمد عابد الجابري لميراث البنت، انطلاقا من قوله تعالى: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ} [النساء: 11] إذ قرأ الآية قراءة تاريخة، انطلاقا من التساؤل التالي: كيف نقرأ هذا الحكم قراءة تجعله معاصرا لنفسه ومعاصرا لنا في نفس الوقت؟[49]

الجواب حسب الجابري يكمن في القراءة التاريخية عبر طريق ربط هذه الآيات بالظروف التاريخية التي نزلت فيها. ومن هنا قرر أن تقدير الشارع لنصيب البنت في الميراث جاء مراعيا للوضع السائد في المجتمع العربي، الذي كان مجتمعا قبليا صرفا لا يعطي للبنت نفس النصيب والحق الذي يعطيه للولد في

49 محمد عابد الجابري، **التراث والحداثة دراسات ومناقشات**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1991م، (ص 54).

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية

العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025

ISSN: 2617-9563

الميراث، بل كانت هناك قبائل تحرم البنت تماما من الإرث، وعندما جاء الإسلام أقر حلا وسطا يتناسب مع هذه المرحلة الجديدة، يعطي للبنت حظها من الميراث، قائلا: "وعندما جاء الإسلام، وكان يمثل زمن نزول القرآن التشريعي بالمدينة، مرحلة الانتقال من مجتمع اللادولة، مجتمع الجاهلية، إلى مجتمع الدولة، أقر نوعا من الحل الوسط يتناسب مع هذه المرحلة الجديدة. وهكذا فبدلا من حرمان البنت من الإرث جملة، منحها الثلث"[50].

الفكرة التي يريد أن يمررها الجابري هنا هي أن أحكام الإرث تتجدد حسب السيرورة الزمانية وحسب طبيعة كل عصر، وأن هذه الأحكام قابلة للتغير باستمرار، إذ لم تعد تستجيب لمستجدات العصر ومتطلباته، ومما يؤكد هذا الكلام قوله: "من خلال هذا النوع من التحليل يمكن للعقل المعاصر أن يفهم ويتفهم الحكم الشرعي الإسلامي بوصفه حكما يستجيب تماما لمتطلبات المجتمع الذي خاطبه أول مرة"[51]. وذكر رأيا آخر نسبه إلى إخوان الصفا وخلان الوفاء في رسائلهم، يبين أن توريث البنت الثلث فقط تحقيق لنوع آخر من العدالة والمساواة[52]، وكأن كلام إخوان الصفا أولى من كلام الله تعالى.

وقد برر الجابري حرمان المجتمع الجاهلي البنت من الميراث بسبب الملكية المشاعة، التي تعطي حق الملكية للقبيلة لا للفرد، وبما أن القبائل تسعى دوما إلى الزواج من القبائل البعيدة لأجل كسب الحلفاء والحفاظ على العلاقات السلمية؛ فإن تورث المرأة . التي ستخرج تركتها إلى القبيلة الأجنبية .

---

50 المرجع نفسه(ص 55).

51 المرجع نفسه، (55).

52 المرجع نفسه، (55).

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية

العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025

ISSN: 2617-9563

سيؤدي إلى إفلاس القبيلة وإضعافها[53]، ولا يخفى ما في هذا الرأي من تكلف، وتأثر بنظرية كلود ليفي ستروس في البنية المجتمعة، إن لم نقول قد استلهمه من كتابه "الأنثروبولوجيا البنيوية" الذي قدم فيه نفس التحليل لصلة الزواج[54].

وبما أن كلام الجايري هذا يفهم منه أن قراءة آيات المواريث اليوم . التي فصلها الله تعالى بحساب دقيق لم يفصل به غيرها . يقتضي النظر في الظروف التاريخية الحالية، عن طريق ملاحظة حال المرأة في المجتمعات المعاصرة. وسأنبه هنا على قضيتين جوهريتين:

الأولى: أن القرآن الكريم وهو يشرع لقضايا الإرث وغيرها من الحقوق كان يتوجه بالخطاب إلى المكلفين في مختلف العصور والأزمان؛ لأن الشريعة الإسلامية جاءت لتكون حاكمة وموجهة لواقع الناس وأعرافهم، ومهذبة ومصححة لها. وعليه فمراعاة المجتهد لأعراف مجتمعه لا ينبغي أن تحيد به عن المحافظة على إطلاقية النصوص ونسبية الأعراف.

الثانية: أن اعتبار أعراف الناس له ضوابط حددها الأصوليون، فلا اعتبار للعرف إلا إذا تحققت فيه تلك الضوابط. ومن هنا قرر أبو اسحاق الشاطبي بأن جملة الأمور الداخلة تحت أحكام الشرع _ وإن كانت من العوائد _ لا تبديل لها وإن اختلفت آراء المكلفين فيها، فلا يصلح أن ينقلب الحسن فيها قبيحا

---

53 ينظر محمد عابد الجابري، **التراث والحداثة دراسات ومناقشات**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1991م، (ص 54 – 55).

1. 54 ينظر، كلود ليفي ستروس، **الأنثروبولوجيا البنيوية**، ترجمة مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1977م، (174 – 175).

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية
العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025
ISSN: 2617-9563

ولا القبيح حسنا، حتى يقال مثلا: إن قبول شهادة العبد لا تأباه محاسن العادات الآن فلنجزه، أو إن كشف العورة الآن ليس بعيب ولا قبيح فلنجزه، أو غير ذلك، إذ لو صح مثل هذا لكان نسخا للأحكام المستقرة المستمرة[55].

ومثل هذا قضية ميراث البنت، فلا يقال إن توريثها نصف ما يرثه الابن قبيح ولم يعد من محاسن العادات، وإلا أدى هذا إلى نقض كل حكم تأباه عادة الناس اليوم مما يطرحه المعاصرون، كمسألة الحجاب وشهادة المرأة ونحو ذلك.

من خلال ما تقدم نلاحظ أن قراءة محمد عابد الجابري للنص القرآني اعتمدت على المنهج التاريخي الذي يربط النصوص القرآنية بالسياق التاريخي الذي نزلت فيه، وقد قاده هذا المنهج إلى استبعاد التفاسير التراثية بحكم أنها ترتبط بالسياق التاريخي الذي ألفت فيه، وبهذا الاعتبار فهي تحول دون التعامل المباشر مع النص القرآني في أصالته.

المطلب الثالث: القراءة العقلية للنص القرآني عند محمد عابد الجابري.

بينا في سياق الحديث عن الإنتاج العلمي للجابري أنه أولى عناية كبيرة لمفهوم العقل، وسنحاول في هذا المطلب أن نقف على تجليت العقل في قراءة الجابري للنص القرآني، ونناقش ذلك.

55 الشاطبي، **الموافقات**، تحقيق: مشهور بن حسن، دار ابن عفان، ط1، 1997م، (ج 2 / 488).

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية

العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025

ISSN: 2617-9563

أولا مكانة العقل في الإسلام:

إن للعقل مكانة عالية في الإسلام، وإذا تدبرنا كتاب الله عز وجل سنجد كثيرا من آياته تتحدث عن العقل والعقلاء، وتنيط بذلك بعض الأوصاف إن سلبا أو إيجابا، فنجد كثيرا ما يوجه الخطاب بأولي الألباب. كما في قوله تعالى: {وَلَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ يا أُولِي الْأَلْبابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: 179]. وقوله {وَاتَّقُونِ يا أُولِي الْأَلْبابِ} [البقرة: 197] وغيرها من الآيات. وجعل العقل مناط الاعتبار بالآيات التي يرسلها الله لعباده ليستدلوا بها على الصحيح من الاعتقادات، ولتكون وسيلة لتمييز الحق عن الباطل، والخبيث من الطيب، وفي هذا السياق وردت آيات كثيرة تحميل الصيغة التالية: {لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [البقرة 164] فهذا المقطع من هذه الآية وأمثالها يبين بوضوح أن الله جعل العقل ميزة في الإنسان يتميز بها عن سائر المخلوقات، لذا نجد القرطبي فسر تفضيل الله بني آدم على كل المخلوقات بالعقل عند تفسير قوله تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْناهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَفَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً} [الإسراء:70] حيث قال: "والصحيح الذي يعول عليه أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف،. وبه يعرف الله ويفهم كلامه، ويوصل إلى نعيمه وتصديق رسله"[56].

وفي المقابل نلفي القرآن يذم الذين لا يستخدمون عقولهم ليدركوا ما يريده الله من عباده، ليتبينوا الحق من الباطل، وهو ما سماه قطب الريسوني ب "النعي القرآني على تعطيل العقول"[57]. وهناك آيات

---

56 القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2006م، (ج 13 /126).

57 قطب الريسوني، **النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر مدخل إلى نقد القراءات وتأصيل علم**

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية

العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025

ISSN: 2617-9563

كثيرة تنعت الذين رفضوا الحق المبين بعدم العقل، كقوله تعالى: {وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِما لَا يَسْمَعُ إِلَاّ دُعاءً وَنِداءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} [البقرة:171] وقوله {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ} [الأنفال: 22] وهذه الآيات تعطينا رؤية عن منزلة العقل في الإسلام، وكيف جعله الركن الأساسي لسعادة الإنسان في الدارين. كما أن من الأمور الجليلة الجلية التي تؤكد هذه المكانة حماية نصوص الشرع للعقل من كل ما يذهب نور العقل، ويخرج به من وظيفته التي رسمت له كالمسكرات[58].

ثانيا تعريف العقلاني والعقلانية:

من البديهيات أن العقلاني ليس هو كل من عنده عقل، وإلا لكان كل الناس عقلانيين، وهذا لم يقل به أحد، لذا فإن العقلاني: "هو الذي يحتكم إلى العقل، ويلتزم به ويأخذ بموجباته في كل أحواله، ومن لا يلتزم بذلك فليس عقلانيا"[59] من خلال هذا التعريف يتبين أن العقلاني يتميز عن غيره بكونه معتمدا على قله في كل ما يصدر عنه من نشاط فكريا كان أو غيره. وإذا كان الأمر كذلك فإن العقلانية هي "ممارسة فكرية تحتكم إلى العقل وتلتزم بأحكامه"[60]. وقد عرفها محمد قطب بأنها: "التفسير العقلاني لكل

التدبر القرآني، مركز تفسير للدراسات القرآنية، (ص 140).

58 ينظر المرجع نفسه، ص 142.

59 خالد كبير علال، **وقفات مع أدعياء العقلانية حول الدين والعقل والتراث والعلم**، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، (ص 5).

60 نفسه، (ص 4).

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية

العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025

ISSN: 2617-9563

شيء في الوجود، أو تمرير كل شيء من قناة العقل لإثباته أو نفيه أو تحديد خصائصه"[61]. واعتبرها مذهبا قديما يعود إلى العصور اليونانية.

العقلنة في خطاب الجابري:

يحدد الجابري طبيعة القول القرآني بوصفه نصا عقلانيا، تتحدد المعقولية في خطابه من خلال جدلية التوحيد والشرك، فالشرك ينطوي في ذاته على تناقض لا يقبله العقل، {إذ لوكان فيها آلهة إلا الله لفسدتا}، ونقيضه هو التوحيد الذي يمثل الخطاب العقلاني، حيث قدم القرآن كفاح الأنبياء والرسل على أنه كفاح من أجل نشر العقل وترجيحه[62]. وقد ألف الجابري كتاب "مدخل إلى القرآن الكريم" لأجل تحقيق غاية الدعوة إلى التعامل العقلاني مع النص القرآني، قائلا في خاتمة الكتاب: "قدمنا فيما نعتقد تعريفا بالقرآن الكريم بددنا فيه كثيرا من الضباب الذي كان وما زال يحول دون التعامل العقلاني مع هذا النص الديني الذي لم يشد بشيء آخر إشادته بالعقل، وذلك إلى درجة يمكن القول معها إن القرآن يدعو إلى دين العقل"[63].

وتقوم عقلنة النص القرآني عند الجابري على جعل العقل ميزانا يحتكم إليه في قراءته، وهذه العقلانية توافق مقاصد الشرع وتخدمها؛ لأن صحة مضمون النص الشرعي مشروط بمطابقته لما أجرى الله عليه العادة، وهذا ما يسمى . في نظر الجابري . بلغة العلم: قوانين الطبيعة وظواهر الاجتماع، أو ما أطلق

61 محمد قطب، **مذاهب فكرية معاصرة**، دار الشروق، القاهرة، ط9، 2001م، (ص 500).

62 الجابري، **تكوين العقل العربي**، دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط10، 2009م، (ص 136).

63 الجابري، **مدخل إلى القرآن الكريم**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2006م، (ص 429).

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية

العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025

ISSN: 2617-9563

عليه ابن خلدون طبائع العمران[64]. واستند الجابري في تقريره هذه النظرية إلى قاعدة أصولية عبر عنها الشاطبي بقوله: " كل أصل علمي يتخذ إماما في العمل؛ فلا يخلو إما أن يجري به العمل على مجاري العادات في مثله، بحيث لا ينخرم منه ركن ولا شرط، أو لا، فإن جرى؛ فذلك الأصل صحيح، وإلا؛ فلا"[65].

أورد الشاطبي هذه القاعدة في سياق تقريره وجوب مراعاة الكليات الشرعية وسنن الله الكونية عند تفسير النصوص الشرعية، أي أنه يجب على المجتهد تمحيص النظر ومراعاة هذه الجوانب حتى لا يوقع الناس في الحرج باستخلاص أحكام متطرفة لا يطيقونها. يقول أبو اسحاق: "ثبت في الأصول الفقهية امتناع التكليف بما لا يطاق، وألحق به امتناع التكليف بما فيه حرج خارج عن المعتاد"[66] وقال في معرض بيان صفة المجتهد: " المفتي البالغ ذروة الدرجة هو الذي يحمل الناس على المعهود الوسط فيما يليق بالجمهور؛ فلا يذهب بهم مذهب الشدة، ولا يميل بهم إلى طرف الانحلال"[67].

64 الجابري وحسن حنفي، **حوار المشرق والمغرب نحو إعادة بناء الفكر القومي العربي**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1990م، (ص 21).

65 الشاطبي، **الموافقات**، تحقيق: مشهور بن حسن، دار ابن عفان، ط1، 1997م، (ج 1 / 155).

66 الشاطبي، **الموافقات**، تحقيق: مشهور بن حسن، دار ابن عفان، ط1، 1997م، (ج 1 /155).

67 المرجع نفسه (ج 5 / 276).

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية

العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025

ISSN: 2617-9563

فمعنى القاعدة يتمحور حول الضوابط التي يجب مراعاتها في تفسير معاني النصوص الشرعية حتى لا يتناقض ذلك التفسير مع سنن الله الكونية، لكن الجابري حمل معنى القاعدة على وجوب تقديم العقل وجعله ميزانا يحتكم إليه في قراءة النصوص الشرعية وعلى رأسها النص القرآني.

والحق أن أصل هذه القاعدة التي يريد الجابري أن يجد لها منبعا في أصول الفقه أصلها عند المعتزلة القائلين بأسبقية العقل على النقل اعتمادا على ركيزتين أوليتين:

أولية أنطولوجية زمانية: لأن العقل مخلوق قبل الوحي، وهنا نشأت نظرية خلق القرآن.

وأولية منطقية: لأن خلق النقل قبل العقل محال لأنه عبث والعبث محال على الله، إذ لا يمكن أن يوجد القرآن قبل العقل الذي يخاطبه.

ثانيا: أمثلة للقراءة العقلية لنص القرآن عند الجابري.

من مظاهر عقلنة النص القرآني عند الجابري أورد مثالين اثنين:

1. القصص القرآني:

المقصود بالقصص هنا كل ما ورد في القرآن من أخبار سواء تعلق الأمر بالأنبياء أو أوصاف الآخرة أو نحو ذلك من الأمور الغيبية، حيث يلاحظ أن الجابري يعيد قراءة هذه القضايا قراءة عقلية تتجاوز المعاني الظاهرة، فيصور القصص القرآني على أنه غير مقصود لذاته وإنما هو من قبيل ضرب المثل، وبمثابة البرهان على صحة قضية توجد خارج القصة، قائلا: "القصص القرآني هو نوع من ضرب المثل، والمثل لا يضرب لذاته ولا من أجل ذاته، بل من أجل البيان، من أجل العبرة، من أجل البرهنة على صحة القضية التي يستشهد فيها بالمثل. وهكذا، فكما يضرب القرآن المثل برجلين أو بجنتين من

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية

العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025

ISSN: 2617-9563

دون تحديد، وكما يجري حوارا بين أهل الجنة وأصحاب النار، والقيامة لم تقم بعد فكذلك الشأن في قصص الأنبياء التي يذكرها. إنها للذكر أي الموعظة والعبرة. وهكذا فكما أننا لا نسأل عن صحة القصة التي وراء الأمثال التي تضرب لموقف أو حال لا نسأل عن صحة القصة التي وراء الأمثال التي تضرب لموقف أو حال لأن المقصود بالمثل ليس أشخاصه، بل مغزاه، فكذلك القصص القرآني"[68].

وعليه ينبغي إعادة تفسير القصص القرآني بمعزل عن دلالته التاريخية، بل نتجاوز ذلك إلى البحث عن الدلالات العقلية التي يوحي بها، لأن معيار الصدق في القصص القرآني لا يلتمس في مطابقة القصة للواقع التاريخي، بقدر ما يلتمس في خيال المستمع ومعهوده[69].

وفي هذا السياق يتحدث الجابري عن اعتراضات المشركين على القرآن الكريم، كقولهم عن شجرة الزقوم: كيف ينمو الشجر في جهنم وهي نار؟ قائلا: "مثل شجرة الزقوم فالمقصود من ذكر هذه الشجرة في السياق الذي ذكرت فيه، ليس من أجل أن يتخذ الله منها آية لإظهار قدرته على صنعه، ... بل إنما ذكرها . شجرة الزقوم . من أجل تخويف الذين كفروا وايقاعهم في الفتنة. ولكي يزيدهم حيرة وفتنة أخذ يصف هذه الشجرة بما يجعلها أكثر تخويفا وأشد إرباك"[70] وحمل أجوبة المفسرين على أنها مجرد تخمينات؛ لأنها لا تجد ما يشرحها أو يسندها من القرآن، لينتهي إلى القول بأن ما ورد في القرآن من

---

68 الجابري، **مدخل إلى القرآن الكريم**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2006م، (ص257 - 258).

69 المرجع نفسه (ص 259).

70 محمد عابد الجابري، **فهم القرآن الحكيم التفسير الواضح حسب ترتيب النزول**، مركز دراسات الوحدة

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية
العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025
ISSN: 2617-9563

أوصاف ونعوت للجنة والنار هي أيضا من قبيل ضرب المثل، بمعنى أنها تحمل على ما يفهمه العقل من تلك الأوصاف كالترغيب والترهيب، قائلا: "ونحن نرى أن ما ورد في القرآن من أوصاف ونعوت للجنة والنار من قبيل ضرب المثل، فما وصف به نعيم الجنة هو من أجل الترغيب وما ورد في بخصوص عذاب جهنم فهو الترهيب والتخويف، ومثل أوصاف الجنة والنار ما ورد في القصص القرآني وفي غيره من المرويات"[71].

إن هذا التأويل الذي ذكره الجابري قد نظر له أهل المدرسة الأدبية، وعلى رأسهم محمد أحمد خلف الله في دراسته: "الفن القصصي في القرآن الكريم" التي قرر فيها أن مواد القصص القرآني غير مقصود لذاتها، ولا يراد بها تطابق وقائع التاريخ ضرورة[72]. وهذا النظر يرد عليه صريح القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣﴾ [يوسف: 3] وأيضا قاله تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١﴾ [يوسف: 111] قال الطبري في تفسير لفظ "الافتراء من الآية: "يقول تعالى ذكره: ما كان هذا القول حديثا يختلق ويتكذب ويتخرص"[73]، وقال ابن عطية: "الضمير في قصصهم عام ليوسف وأبويه وإخوته وسائر الرسل

العربية، بيروت، ط1، 2006م، (ج 3 / 175).

71 المرجع نفسه(ج 3 / 174 - 175).

72 محمد أحمد خلف الله، **الفن القصصي في القرآن الكريم**، سينا للنشر، ط4، 1999م، (ص 204 - 210).

73 الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2000م، (13/ 403).

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية

العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025

ISSN: 2617-9563

الذين ذكروا على الجملة، ولما كان ذلك كله في القرآن قال عنه ما كان حديثا يفترى"[74]. كما أن الواقع أيضا يكذب هذا الزعم إذ نشاهد . بالوسائل التي توصل إليها العلم الحديث . اليوم بقايا وآثار هذه الأمم البائدة التي قص لنا عنها القرآن، مثل ديار ثمود، وجثة فرعون وغيرها، كما أن بعض هذه الأحداث مؤرخة ومتداولة بين الناس عن طريق السمع قبل نزول القرآن، مثل حادثة الفيل التي أرخ بها العرب لتلك الحقبة الزمنية.

إن القاعدة التي قررها علماء أصول التفسير وأصول الفقه تفيد بأن الأصل حمل ألفاظ القرآن على ظواهرها، وقد عرف الجويني الظاهر بأنه: "لفظ يحتمل معنيين أحدهما أظهر من الآخر"[75].

وبناء على القاعدة وجب حمل كلام الله على ظاهره المتبادر منه المفهوم من اللفظ عند التخاطب، والضابط في ظهور المعنى يتحقق بمراعاة معهود العرب في كلامهم. قال الطبري في مقدمة تفسيره: " فالواجب أن تكون معاني كتاب الله المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، لمعاني كلام العرب موافقة، وظاهره لظاهر كلامها ملائما، وإن باينه كتاب الله بالفضيلة التي فضل بها سائر الكلام والبيان"[76].

---

74 ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ، (ج3/ 289).

75 الجويني، **البرهان في أصول الفقه**، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997م، (ج 1 / 152)؛ نفس التعريف ذكره أبو يعلى في كتابه **العدة في أصول الفقه** (ج 1/ 140).

76 الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2000م، (ج 1 / 8 - 12).

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية
العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025
ISSN: 2617-9563

أما تأويل ألفاظ القرآن بصرفها عن ظواهرها فلا يصار إليه إلا بدليل يقتضي ذلك، ويظهر هذا جليا في تعريف الأصوليين لمفهوم التأويل، قال الآمدي في تعريفه: "حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه مع احتماله له بدليل يعضده"[77].

يظهر من هذا التعريف أن التأويل الصحيح له شرطان:

الأول: صرف اللفظ إلى معنى يحتمله في اللغة، وفهم هذا الشرط من قوله: (مع احتماله له) حيث احترز به عما إذا صرف اللفظ عن مدلوله الظاهر إلى ما لا يحتمله أصلا، فإنه لا يكون تأويلا صحيحا.

الثاني: أن يستند التأويل إلى دليل، وفهم هذا الشرط من قوله: (بدليل يعضده)، حيث احترز به عن التأويل من غير دليل، الذي يعتبر تأويلا فاسدا، كتأويل الشيعة لبعض الآيات القرآنية بما لا دليل عليها.

2. معجزات النبي صلى الله عليه وسلم:

يعتبر الجابري أن القرآن الكريم يحمل في ذاته برهان إعجازه، فلا يحتاج إلى معجزة خارجة عنه تؤيد صدقه، ومن هنا ذهب إلى القول بأن القرآن هو المعجزة الوحيدة الخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم، أما ما ورد في القرآن الكريم عن قضية انشقاق القمر أو الإسراء والمعراج فلم يكن من قبيل خرق العادة (معجزة) إذ لو كان ذلك استجابة لطلب قريش لكان في القرآن ما يفيد ذلك[78]. وستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٥٠ أَوَلَمۡ

77 الآمدي، **الإحكام في أصول الأحكام**، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، (ج 3 /53).
78 الجابري، **مدخل إلى القرآن الكريم**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، الجزء الأول في التعريف

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية

العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025

ISSN: 2617-9563

يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٥١ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٥٢ ﴾ [العنكبوت: 50-52] التي اعتبرها ختاما للجدال مع قريش حول هذا الموضوع لأن سورة العنكبوت آخر ما نزل بمكة، قائلا: "وواضح أننا هنا أمام إغلاق نهائي لمسألة إمكانية تخصيص خاتم النبيئين والمرسلين بمعجزة من جنس ما طالبت به قريش. لقد قررت الآية أن القرآن كاف وحده كمعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم ثم أنهى الجدال في الموضوع"[79]. كما استدل أيضا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدِ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[80].

وأرجع مسألة انشقاق القمر إلى اجتهاد المفسرين، حيث فسر بعضهم الانشقاق بخسوف القمر، أو شيء يشبهه، ومنهم من فسره بوضوح الأمر وظهوره، استنادا إلى أن العرب تضرب بالقمر مثلا فيما وضح، كما فسره بعضهم بالمستقبل أي سينشق القمر، وفسره بعضهم بالانشقاق الفعلي، وعقب على ذلك بقوله: "أما نحن فنرى أن عدم نزول آيات أخرى تؤكد انشقاق القمر دليل على أن ما حدث لم يكن من قبيل خرق العادة. فلو كان الأمر استجابة لقريش، كما ذكرت الروايات، لكان في القرآن ما يفيد ذلك، هذا

بالقرآن الكريم (ص 187).

79 الجابري، **مدخل إلى القرآن الكريم**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، الجزء الأول في التعريف بالقرآن الكريم (ص 188).

80 مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان / بَابُ وُجُوبِ الْإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، وَنَسْخِ الْمِلَلِ بِمِلَّتِهِ، (ج 1/ 134 / رقم الحديث: 239).

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية

العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025

ISSN: 2617-9563

في حين أن مطالب قريش التي من هذا القبيل قد قوبلت في القرآن بالرفض الصريح...كل هذا رجح لدينا أن ما حدث كان خسوفا"[81].

أما قضية الإسراء والمعراج الواردة في قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١﴾ [الإسراء: 1] وجاء تفصيلها في السنة الصحيحة[82]، وذهب الجابري إلى أن ذلك وقع مناما، واستدل بدليل عقلي استدلت به المعتزلة قبله، ونص كلامه: "القول بالمعراج بالجسد يطرح عدة قضايا منها مسألة الرؤية: رؤية الله حين المعراج. فإذا قلنا إن المعراج كان بالجسد فإن ذلك يعني أن الرسول رأى الرؤية بصرية، وهذا لا يمكن إلا مع الأجسام، والله منزه عن الجسمية"[83].

وقد أدى به هذا التفسير العقلي إلى إنكار ورود حادثة المعراج في القرآن الكريم[84]، وهذا غير صحيح، إذ المعراج مذكور بالتفصيل في سورة النجم.

وقد وظف الجابري دليلين لتأكيد قوله:

---

81 نفسه 189.

82 ينظر **صحيح البخاري**، باب: حديث الإسراء (ج 5 / 52 / رقم 3886) وباب: المعراج (ج 5 / 53 / 3887).

83 الجابري، **مدخل إلى القرآن الكريم**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، الجزء الأول في التعريف بالقرآن الكريم (ص 190).

84 المرجع نفسه (ص 189).

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية

العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025

ISSN: 2617-9563

1.الدليل اللغوي: وقد فسر الجابري الرؤية الواردة في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ٦٠ وَإِذْ﴾ [الإسراء: 60-61] بالمنامية، مع أن جمهور المفسرين على أن المقصود بها ما رآه النبي – صلى الله عليه وسلم – من الآيات والعبر في طريقه إلى بيت المقدس وإلى السماء، قال الطبري: " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: عنى به رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى من الآيات والعبر في طريقه إلى بيت المقدس، وبيت المقدس ليلة أسري به"[85] وأكد ابن عطية اجماع جمهور المفسرين على هذا الرأي بقوله: "اختلف الناس في الرؤيا، فقال الجمهور: هي رؤيا عين ويقظة، وهي ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة الإسراء"[86]. وقال الرازي ردا على هذا الزعم: "وقال الأقلون: هذا يدل على أن قصة الإسراء إنما حصلت في المنام، وهذا القول ضعيف باطل"[87]. ويرد هذا الرأي أيضا تعبير القرآن بلفظ (عبد) في الآية الكريمة ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: 1] إذ العبد يطلق على الجسد والروح معا[88].

---

85 الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2000م، (ج 14/ 647).

86 ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ، (ج 3 / 467).

87 فخر الدين الرازي، **مفاتيح الغيب التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، (ج 20/ 361).

88 ينظر المرجع نفسه (ج 20/ 295).

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية

العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025

ISSN: 2617-9563

2. الدليل السياقي: حيث استغل ما ورد في السورة من الردود على متطلبات كفار قريش، عند قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ٩٠ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ٩١ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ٩٢ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥ﴾ وكان جواب القرآن الكريم: ﴿قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٣ وَمَا﴾ [الإسراء: 90-94] واعتبر الجابري الإسراء والمعراج من قبيل هذه المتطلبات التي لا تطوقها الطبيعة البشرية، قائلا مفسرا للآية: "بمعنى أن طبيعتي البشرية لا تسمح لي بالرقي إلى السماء"[89].

ومن هذا القبيل إنكار الجابري أيضا لخروج الدابة التي ورد ذكرها في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ٨٢ وَيَوۡمَ﴾ [النمل: 82-83] واعتبرتها السنة الصحيحة من علامات الساعة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَالدُّخَانُ وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ)[90] وحمل الجابري ما ذكره المفسرون في شأن الدابة على أنه من قبيل الأساطير والخزعبلات، وأن المراد من الآية هو مجرد السخرية من الكفار لا حقيقة الدابة[91].

---

89 الجابري، **مدخل إلى القرآن الكريم**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2006م، (ص 190).

90 مسلم، **صحيح مسلم**، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة (ج 5 / 2226/ رقم الحديث: 2901).

91 ينظر، محمد عابد الجابري، **فهم القرآن الحكيم**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، (ج 1 /

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية

العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025

ISSN: 2617-9563

وأود أن أشير إلى أن من أصول وضوابط التفسير، تفسير القرآن بالسنة. قال الشافعي في تقرير هذا الضابط: "فجماع ما أبان الله لخلقه في كتابه مما تعبدهم به، لما مضى من حكمه جل ثناؤه من وجوه: فمنها ما أبانه لخلقه نصا...ومنه ما أحكم فرضه بكتابه، وبين كيف هو على لسان نبيه"[92] وعليه فتقديم الفهم العقلي على المرويات الصحيحة لا يستقيم مع هذه القاعدة وهذا الأصل، وقد ضبط العلماء أصول التفسير وفق ترتيب منهجي يتدرج كما يلي:

أولا: ينطلق المفسر في البحث عن المعنى من القرآن نفسه (تفسير القرآن بالقرآن).

ثانيا: ينتقل إلى البحث عن المعنى في نصوص السنة النبوية (تفسير القرآن بالسنة). قال ابن تيمية: "إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِلَ في مكان فإنه قد فُسِّرَ في موضع آخر، وما اخْتُصِر من مكان فقد بُسِطَ في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له"[93].

ثالثا: ينتقل إلى أقوال الصحابة رضوان الله عليهم، قال ابن تيمية: "إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن، والأحوال التي

.(310

92 الشافعي، **الرسالة**، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، ط1، (ص 21).

93 ابن تيمية، **مقدمة في أصول التفسير**، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1980م، (ص 39).

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية
العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025
ISSN: 2617-9563

اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين؛ مثل عبد الله بن مسعود"[94].

إن هذا المنهج الذي يجعل للعقل البشري أولوية قصوى قد تأسس في الفلسفات الغربية، وظهر جليا مع الفيلسوف الفرنسي روني ديكارت. وقد تلقف هذا المنهج علماء نقد الكتاب المقدس الذين جعلوا العقل معيارا وحكيما على النصوص المقدسة، ومن أوائل الذين ظهر معهم هذا المنهج الفيلسوف الهولندي باروخ سبينوزا الذي قال عنه حسن حنفي في المقدمة التي قدم بها لترجمة كتابه "رسالة في اللاهوت والسياسة": "سبينوزا هو الديكارتي الوحيد الذي استطاع أن يطبق المنهج الديكارتي تطبيقا جذريا في المجالات التي استبعدها ديكارت من منهجه، خاصة في مجال الدين، وأعني الكتب المقدسة والكنيسة..."[95].

فنقل هذا المنهج إلى التراث الإسلامي واعتماده في قراءة النص القرآني غير سديد؛ لأنه ظهر في سياق مغاير للسياق القرآني، كما أنه قياس مع وجود الفارق، فالقرآن الكريم الذي تكفل الله بحفظه في الصدور والسطور مغاير للكتب المقدسة التي دخلها التحريف والتزوير من طرف رجال الدين، لذا فهي قابلة للنقد التاريخي والعقلي؛ لأن ما فيها من حقائق متناقض مع العقل والعلم، بخلاف القرآن الكريم، قال موريس بوكاي: "لقد رأينا في التوراة في الفصل السابق، أخطاء في السياق التاريخي. وذكرنا بعضا منها

---

94 المرجع نفسه، (ص 40).

95 باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، ترجمة حسن حنفي، دار التنوير، بيروت، ط1، 2005م، (ص 9).

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية

العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025

ISSN: 2617-9563

مرقومة من بعض شراح اليهود المسيحيين.... لذا فإنه يمكننا من زاوية المنطق استخراج عدد مهم من التناقضات والمستحيلات من التوراة.[96] وطرح تساؤلا عميقا يستغرب فيه هذا الخلط قائلا: "وعلى حين نجد في التوراة أخطاء علمية ضخمة لا نكتشف في القرآن أي خطأ، وقد دفعني ذلك لأن أتساءل: لو كان كاتب القرآن إنسانا، كيف استطاع في القرن السابع من العصر المسيحي ما اتضح أن يتفق اليوم مع المعارف العلمية الحديثة؟! ليس هناك أي مجال للشك، فنص القرآن الذي نملك اليوم هو فعلا نفس النص الأول"[97].

يظهر مما تقدم أن القراءة العقلية للنص القرآني عند محمد عابد الجابري تجعل العقل ميزانا يحتكم إليه في تفسير هذا النص، بغض النظر عن القواعد والضوابط التفسيرية المعتبرة عند العلماء، مما نتج عنه إلغاء المرويات الصحيحة، وصرف ألفاظ اللغة عن ظواهرها من غير دليل معتبر.

96 موريس بوكاي، **التوراة والإنجيل والقرآن والعلم**، ترجمة الشيخ حسن خالد، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1996م، (ص 43).

97 المرجع نفسه.

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية
العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025
ISSN: 2617-9563

خاتمة:

خلص هذا البحث الذي حاول أن يقف على بعض مناهج العلوم الإنسانية التي وظفها محمد عابد الجابري في قراءته للنص القرآني، إلى النتائج التالية:

1. أدت القراءة التاريخية للنص القرآني عند الجابري إلى ربطه بالظروف التاريخية، مما أدى إلى اعتباره نصا تاريخيا تتقيد أحكامه بعصر النزول، وقد تجلى هذا في قراءة الجابري لقضية ميراث البنت.
2. أدت القراءة العقلية للنص القرآني عند الجابري إلى تغليب المنطق العقلي على حساب القواعد التفسيرية، مما أدى إلى تجاوز الدلالات اللغوية للنص القرآني، كما تجلى ذلك في اعتباره القصص القرآني وأوصاف الجنة والنار من قبيل الأمثال، وإنكار وقوع المعجزات.
3. هذان المنهجان تأسسا في السياق الغربي واعتمدا في نقد الكتاب المقدس، وبالتالي فنقلهما إلى السياق الإسلامي واعتمادهما في قراءة النص القرآني هو من قبيل الإسقاط.

التوصيات:

أوصي الباحثين المتخصصين في العلوم الإنسانية بدراسة تفسير الجابري وإظهار ما فيه من سقطات، بالأدلة الدامغة؛ لأن أكبر وسيلة للدب عن القرآن هو الهجوم على الدراسات التي توثير زوبعة في المجال العلمي.

أن مجال الدراسات الحداثية يعتبر منجما غنيا للبحوث الأكاديمة، حيث يتيح الفرصة للباحث أن يقارع الحجة بالحجة؛ ليظهر التبر من الذهب.

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية

العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025

ISSN: 2617-9563

قائمة المصادر والمراجع:

أحمد بن فارس .(1979) .معجم *مقاييس اللغة* (تحقيق: عبد السلام محمد هارون). دار الفكر.

ابن حجر العسقلاني. (د.ت) .*فتح الباري شرح صحيح البخاري* .دار المعرفة.

ابن تيمية .(1980) .*مقدمة في أصول التفسير* .دار مكتبة الحياة.

ابن عطية .(2001) .*المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز* (تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1). دار الكتب العلمية.

ابن منظور .(1994) .*لسان العرب* (ط3). دار صادر.

الآمدي. (د.ت) .*الإحكام في أصول الأحكام* (تحقيق: عبد الرزاق عفيفي). المكتب الإسلامي.

إيمان، حسن .(2013) .(*الدلالات اللغوية في فهم القرآن الحكيم للجابري – دراسة تحليلية نقدية*)أطروحة دكتوراه، جامعة اليرموك.

الجابري، محمد عابد .(1997) .*حفريات في الذاكرة: من بعيد* (ط1). مركز دراسات الوحدة العربية.

الجابري، محمد عابد .(2006) .*فهم القرآن الحكيم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول* (ط1). مركز دراسات الوحدة العربية.

الجابري، محمد عابد .(2006) .*مدخل إلى القرآن الكريم* (ط1). مركز دراسات الوحدة العربية.

الجابري، محمد عابد .(2009) .*تكوين العقل العربي* (ط10). دراسات الوحدة العربية.

الجابري، محمد عابد، &حنفي، حسن .(1990) .*حوار المشرق والمغرب نحو إعادة بناء الفكر القومي العربي* (ط1). المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

الحارث، فخري عبد الله. (د.ت) .*الحداثة وموقفها من السنة* (ط1). دار السلام.

الزركشي، بدر الدين .(1957) .*البرهان في علوم القرآن* (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1). دار إحياء الكتب العربية.

السيد، ولد باه. (د.ت) .*أعلام الفكر العربي: مدخل إلى خارطة الفكر العربي الراهنة* .الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

السيوطي. (د.ت) .*الإتقان في علوم القرآن* (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم). الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الشاطبي .(1997) .*الموافقات* (تحقيق: مشهور بن حسن، ط1). دار ابن عفان.

المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية

العدد الثالث والثمانين شهر (ابريل) 2025

ISSN: 2617-9563

الشافعي. (د.ت) .*الرسالة* (تحقيق: أحمد شاكر، ط1). مكتبة الحلبي.

الصالح، صبحي .(2000) .*مباحث في علوم القرآن* (الطبعة 24). دار العالم للملايين.

علال، خالد كبير. (د.ت) .*وقفات مع أدعياء العقلانية حول الدين والعقل والتراث والعلم* .مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع.

أركون، م .(2005) .*القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني* (ترجمة: هاشم صالح، ط2). دار الطليعة.

الرازي، فخر الدين .(1999) .*مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)* (ط3). دار إحياء التراث العربي.

الريسوني، قطب. (د.ت) .*النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر: مدخل إلى نقد القراءات وتأصيل علم التدبر القرآني* .مركز تفسير للدراسات القرآنية.

الطبري .(2000) .*جامع البيان في تأويل آي القرآن* (ط1). مؤسسة الرسالة.

القرطبي .(2006) .*الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان* (ط1). مؤسسة الرسالة.

العروي، عبد الله .(1997) .*ثقافتنا في ضوء التاريخ* (ط4). المركز الثقافي العربي.

ليفي ستروس، كلود .(1977) .*الأنثروبولوجيا البنيوية* (ترجمة: مصطفى صالح). منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

الماوردي. (د.ت) .*النكت والعيون* .دار الكتب العلمية، مؤسسة الكتب الثقافية.

بوكاي، موريس .(1996) .*التوراة والإنجيل والقرآن والعلم* (ترجمة: حسن خالد، ط1). مكتبة مدبولي.

خلف الله، محمد أحمد .(1999) .*الفن القصصي في القرآن الكريم* (ط4). سينا للنشر.

قطب، محمد .(2001) .*مذاهب فكرية معاصرة* (ط9). دار الشروق.

سبينوزا، باروخ .(2005) .*رسالة في اللاهوت والسياسة* (ترجمة: حسن حنفي، ط1). دار التنوير.